عهد... وينتهي اللّقاء

•• رواية ••

سجود شيبوني

نوعه: رواية.

الكاتب(ة): سجود شيبوني.

التدقيق اللغوي: وحيدة بوضياف.

التنسيق: بوذهبة زينة.

مسؤول(ة) الدار: أميرة بوقفة.

الطبعة الأولى: 2024.

الإيداع القانوني: 2024/08.

تاريخ الإصدار: 05/08/2024

ISBN: 978-9969-9776-4-6

دار تحفة للنشر والتوزيع

الجزائر- ولاية باتنة – بلدية بوزينة.

رقم الهاتف: 06.76.89.04.67

البريد الإلكتروني: tohfapublishhouse@gmail.com

جميع حقوق الكتاب محفوظة لدى دار تحفة للنشر والتوزيع،
ولا يسمح لأي جهة بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تعديل أي
جزء منه، دون إذن مسبق من الناشر.
إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب
لا عن رأي الناشر، والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى.

لم يكن الحلم سهلا، ولا الطريق كانت محفوفة بالتسهيلات، لكنني وصلت ولا زال عليَ التحليق أكثر...

ففكرت أن أوقد شمعة بدل لعنِ الظلام...

إلى من كللّه الله بالهيبة والوقار، إلى من أحملُ اسمه بكل افتخارٍ، إلى من هو قوّامٌ وأساس الدار، أبي الحبيب...

إلى التي كانت تنتظر الفرصة لتعطي الغالي والنفيس في سبيل نجاحي، أمي الحبيبة...

ها أنا ذا أقف أمامكما افتخارا، فارفعا رأسيكما اعتزازا...

فلا هيبة لنجاحي إلا بوجودكما...

إلى رمز الوفاء، إخوتي 'ماريا، توبة، مريم.

أختي وخليلة روحي الوحيدة بشرى'...

إلى أمي الثانية...

إلى صاحب القلب، وعزيز الروح...

إلى قلبي النابض، جداي وجدتاي...

ثم درعي الحامي وسندي، كلتا عائلتاي، الذين لولاهم لما صمدت إلى حين...

إلى الذي علمني كل الحروف حتى أَلَفْتُ بها روايتي أستاذي «حمايدي الطاهر» ...

إلى المنتدى الساخر...

هذا الجهد المتواضع...

أهدي هذا الكتاب...

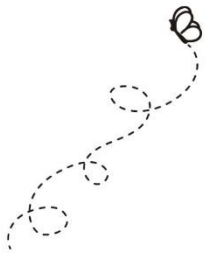

المقدمة

لا تتوقعوا شيئا من أحدٍ، وخاصةً مني...

لأنني سَأُخَيِبُ توقعاتكم في هذه القصة...

هي ليست رواية، هي فقط تمهيد إلى القنبلة الموسمية...

إن لم تكن من الأشخاص الذين يحبونني، لا تقرأ، لا أحد يقرأ للعشوائيين...

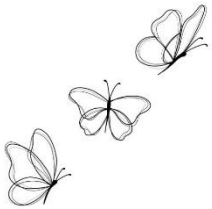

" ليتنا لا نكبرُ يا زاينو"

تُشرق كل يوم شمس الصباح على أهل حي جونيش، وهم في أتم النشاط والاستعدادية، لبدأ يوم مفعم بالحيوية، كان كل صباح لهم مميزًا، وكان كل جارٍ فيهم أحن على أحد من الآخر...

هاهي مخبزة العم محسن تفوح منها رائحة الخبز الطيب، وفطائر زوجته الخالة مسعودة، وفي الجهة المقابلة مطعم العم بلال، الذي يبدأ بالعمل فيه صباحا، ولا يعود إلا في آخر الليل، فكل الحيّ يعتمد عليه، وهاهما الإخوة نيسوس دائما في شجار، فالعم نيسوس لا يترك المقهى ولعب الدومينو، بينما يترك عمل الحديقة وكل الأشغال التي كلفته بها أخته العمة نيسوس، كانت حياتهما بسيطة، لكن ما كان يميزها ابن أخيهما المرحوم عبسي، إنه طفل خاص(متوحد) لكن حوله درعان، إن كان للسيف حدٌّ، فلعبسي حدان 'زاينو وسنان...'

آاا تذكرت... ها هم هناك بجانب حافلة اليقطين، هذا مكانهم المفضل، أو بالأحرى المعتاد...

دائما ما يزعج ثلاثتهم تواجد يونس ابن الجيران معهم، حقا إنه فتًى حقير، لكنها حقارة أطفالٍ...

ويأتي الأخ الكبير رامو بدراجته التي يكسوها الغبار، ليرمي لكل جارٍ بريده إن وُجد، -مرحبا أخت نيسوس، خذي (ملقيا إليها بشيءٍ)، هذه جريدتك...

منتقلا إلى العم بلال الذي لا تصله إلا الفواتير، لكن اليوم البريد وصل إلى منزله، وهو في يد زوجته، أو ربما أقول زوجته الأولى...

شمس هذا اليوم أشرقت ومعها عائلة أخرى بصدد التحطم، كم من عائلة انتهت بالخراب، وشُتت أبناؤها بسبب اختيار الوالدين.

حلت لعنة الطلاق على هذا البيت، بعد وصول ورقة الطلاق إلى والدة زاينو...

وصل الزوجان بلال ونازان إلى نهاية زواجهما، غير أن كلاهما ليس بخاسرٍ، إنما الخاسر الوحيد هي فلذة كبدهما زاينو، كانت هي ضحية هذا الطلاق...

مثلما تحدثُ هذه التضحية مع براءة آخرين.

كانت بعمرٍ صغيرٍ لا تزال الروح تنبض فيها.

-نازان (وهي تضع ملابس ابنتها في الحقيبة): لقد طفح الكيل منك، أهذا جزائي منك؟ زوجةٌ أخرى؟، إذا أردت الطلاق فلك مبتغاك، لكن طفلتي تغدو في أحلامك.

-بلال (يضحك ساخرا): ويلي! ذاكرتك بدأت بالخراب، زاينو هي عيون أبيها، ولن أفرط فيها ما دام القلب ينبض داخلي، حتى أن زوجتي الثانية ليست رافضة بأي شكل من الأشكال لطفلتي.

-ثم أضاف قائلاً: كما أن أباك لم يرض بي زوجاً قط، ستذهبين بها وتُرجعها لي والحسرة في عينيك.

-نازان بكل ثقة: أتظن أبي حاملا في يساره صخرة؟ كلا وألف كلا، أبي كان همه سعادتي، وما دام رضاه لم يمسني، فالطلاق كان نصيبي، وسيبقى بابه مفتوحًا لي ولطفلتي.

جلست زاينو في الخارج، وهي مدركة كل الإدراك لِمَا يحدث...

كان عالم زاينو هما صديقاها، لم تكن لها سعادة غيرهما...

جلس زاينو وعبسي بجانب حافلة اليقطين كالمعتاد...

-دخل سنان إلى مخبزة أبيه قائلا: أسرعي يا أمي، أريد ثلاث فطائرٍ بالمعجون.

-الخالة مسعودة: صبرا يا بني (ضاحكة)، أنت أيضا عليك الوقوف في الطابور.

-سنان: لكن يا أمي... زاينو ستذهب، لا يمكنها الذهاب بدون فطيرة.

-الخالة مسعودة (مدركة): ماذا؟ إلى أين؟

-سنان: تقول أنها ستذهب مع أمها بعد انفصال والديها.

جلس العم بلال في منزله مكسور الخاطر، وهو يناظر ابنته من النافذة، بإمكاني الجزم ألا أحد أحب زاينو بقدره، لكن تجري الأقدار كما أرادها الله...

عاد سنان وفي يديه الفطائر، ليجبر بها خاطر زاينو كما يفعل كل مرة، لكن هذه المرة لن تفي بالغرض، لأن صاحبا الجرح هما والداها...

-سِنان: خذي يا زاينو، امسحي دموعك، لقد أعطيتك القطعة المليئة بالمعجون...

-زاينو: أمي وأبي يتطلقان يا سِنان...

-سنان: أعلم، لا تهتمي، إن الكبار مملون، كما أن حياتهم صعبة.

-زاينو: إنّ الطلاق يعني أن تختار أحد والديك، وهذا أصعب سؤالٍ يمكن أن يُسأل...أنا أحب كليهما، وأريد العيش مع الاثنين.

-سنان: اااااا... لدي فكرة، فلتعيشي أسبوعا مع الخالة نازان، وأسبوعا عند العم بلال، وهكذا تعيشين مع كليهما، وبهذا أيضا لن يفترق ثلاثتنا أليس كذلك يا عبسي؟

-عبسي: الكبار مملون، عبسي يكره الكبار، لا أريد أن أكبر...

-سنان: ليتنا لا نكبر يا زاينو.

أبدت زاينو ملامح التساؤل على وجهها...

-سنان: لا شيء، لا تهتمي.

تقطع حديثهما نازان وهي تُخرج الأغراض إلى صاحب التاكسي...

-هيا يا زاينو.

عانقت صديقاها، وتوسطت كليهما، وغرغرت بؤبؤي كلًا منهما بالدموع...

-وقالت: سأعود لزيارتكما بين الحين والآخر...

-سنان: نحن على العهد حتى نلتقي.

عبسي (بابتسامة تنبع براءة وحزنًا): عبسي يحب زاينو.

زاينو: وزاينو تحبكما.

ذهبت زاينو إلى أبيها لتعانقه، والدموع تنهمر من عينيها، كأنها أحست بمصيبة اللّيلة.

أجهش العم بلال بالبكاء، ربتت بيديها الصغيرتين على كتفه مواسية إياه وهي تقول: -لو خيروني، من بين الآباء حتما سأختارك يا أبي...

-العم بلال: لم أرغب يوما بأن أضعك في موقف الاختيار بيننا...

-زاينو: لا تهتم يا أبي... فقط عليك التحلي بالإيمان.

أمسكت نازان يد ابنتها وأدخلتها السيارة بقوة، وراحت السيارة تمشي، ومع كل حركة كان قلب العم بلال ينكسر معها...

تنظر زاينو إلى صديقها من النافذة الخلفية للتاكسي، وهي تقول: لا تنسيا الوعد يا رفيقاي...

تبا، حتى يونس كان يراقبها من وراء عمود الاسمنت، والحزن بادٍ على وجهه، سيشتاق الحي إلى ضجة زاينو، ولكنها ستعود...

اتصلت نازان بوالدها الذي يُعَدُ من أكبر رجال العصابات آنذاك، والدها الذي لا يُحَارَبُ ولا يُوَاجَهُ، لكن بلال قبل سنين طويلة، وقف في وجهه وتزوج ابنته رغما عنه.

جاء والد نازان السيد حيدر، وهمّ السائق بفتح باب السيارة له...

-عانقت نازان والدها وعيناها تدمع: لقد غدر بي يا أبي، وتزوج من غيري...

-السيد حيدر: هوني عليكِ يا ابنتي، مادام والدك في ظهرك، أشعلي حربا وسأكون لك النيران.

(سكت قليلا عندما رأى زاينو) تعاليْ إلى جدك، تعاليْ...

- (ثم نظر إلى نازان): وهل عندي ما هو أغلى منكما؟ لكن من أخطأ سيُحاسب.

- (ثم أتمم كلامه في قلبه): ومن لم يخطئ أيضا سيُحاسب، هذا ليس قانون الحياة ولكنه قانوني...

عانق زاينو وقبّلها، وقال مازحا: اصعدي على ظهر جدك...

فرحت نازان لأنها كانت تعلم أن أباها لن يردّهما.

نامت زاينو في الطريق قبل الوصول إلى فيلا جدها، في حضنه سعيدة بحصولها على جدٍ.

لطالما كان حنان الجد لا حنان بعده...

فتحت زاينو عيناها عند غروب الشمس، وأنزلها جدها إلى مكانٍ مرعبٍ حرفيا، لكنها توسمت الأمان، لأنها تمسك يد جدها...

اقترب الحارس منهما خطوة خطوة، وقد حدث بين الاثنين تواصل عيني يحكي الموضوع...

-قال السيد حيدر: ضعي يدك بيد العم واتبعيه، سيأخذك إلى غرفتك.

-ولكن أين يا جدي؟ أين أمي؟

-غرفة أمك منفصلة تماما، ألم أقل لك أنني أملك قصرًا كبيرًا؟

-ألا توجد غرفة أخرى قريبة منها؟

- الآن لا... وأعدك بأن آمر بتجهيز واحدةٍ حالاً، ولكن اللّيلة عليك المبيت هنا، عديني أنك ستبقين هادئة، تسمعين كلام الكبار هنا...

- حاضر يا جدي، أعدك.

لن أقول مرّت اللّيلة بسلام، لأنّها لم تمر أساسا...

دخلت زاينو ذلك القفص المرعب، وهي ترى أطفالا مثلها في عمر اللّعب، يلبسون ثيابا ممزقة بالية، وعلى وجوههم يبدو الهَمُ والعبس...

-لا أريد هذا المكان، أريد أبي، لكنني وعدت جدي، صبرا يا زاينو لم يبق الكثير.

أدخلها الحارس إلى الرواق، وأعطى الحقيبة إلى المشرفة هناك.

-حفيدة السيد حيدر...

- من أين له بحفيدة؟

- لا أعلم، نفذي الأوامر يا نفساء دون أسئلة.

أخذت زاينو غرفة مع عدة طفلات أخريات بريئات، ووضعت المشرفة حقيبتها على سرير إيزاره عفنٌ...

-المشرفة: ستتعرفين على قواعد المكان هنا مع الوقت، لكن ما عليك معرفته أنه لا أحد يخالفني رأيًا، ولو كنتِ حفيدة الريس حيدر.

-الريس حيدر؟

- نعم، والآن أُخلدوا إلى النوم، لديكم عمل شاق غدا.

جلست زاينو على جانب السرير، صحيحٌ أنها ليست من عائلة ثرية، لكنها تعودت على النظافة والرتابة، جلست وهي تناظر تلك الطفلات وهن يخلدن إلى النوم واحدة تلو الأخرى، مبدية الحيرة على وجهها، وهي لا تعرف ما الشيء الذي يحدث.

إنها طفلة، من المفترض أن تكون في سريرها الدافئ، في منزل يغمره حنان الوالدين... لكنه القدر، صبرا يا زاينو لم يبق الكثير.

أخذت عيناها تحوم في الجوار، تحرس البنات النائمات غصبا، لأنه أمر المشرفة، إلا فتاةً واحدةً، كانت عيناها تضيء من بعيد، لم يكن ينتابها النعاس على الأغلب، لوّحت لها زاينو بيدها، فانتبهت وبسرعة البرق أصبحت بجانب سريرها...

- ماذا تريدين؟

-هل لي أن أسألك؟

-ماذا؟

- أنا زاينو

- أف من سألك عن اسمك؟ طيب، أنا ميلاني.

-ما هذا المكان؟ ولماذا هو مرعب هكذا؟

- ليس مكانا فحسب، هذا بيتنا، هذا مأوانا منذ الصغر.

- لكن جدي أحضرني إلى هنا، وقال بأن هذه غرفتي في قصره.

- حسب ما فهمت، جدك هو الريس حيدر أليس كذلك؟

-نعم...

-جدك هو صاحب هذا المكان، هذا المكان يَلُمُ من لا أهل له، ولديه قوانين عليك الالتزام بها.

-أهل؟ لديَّ أهل، لديَّ أمٌ، وأبي حبيبي في منزلنا، ولديَّ صديقان، والخالة مسعودة، أنا أملك عائلة كبيرة ...

-أسكتِي يا فتاة، لو كان لك أهل لما كنتِ هنا، مِمَنْ تسخرين؟

-لا، أقسم أن لي أهلاً، عندما يعود جدي سيخبرك بذلك.

- لا، لن يعود، جدك هنا اسمٌ فقط، لم تَرَهُ إحدانا من قبل.

-ما الذي تقولينه؟

-المهم، عليكِ سماع كلام المشرفة نفساء، الاستيقاظ صباحا على الساعة التاسعة...

-أليس باكرا؟

-هذا ما يميزنا عن باقي المنازل. لا توجد راحة.

أتمّت كلامها وزاينو مصدومة وخائفة، والكثير من الحيرة على وجهها...

-الفطور بيضتان مسلوقتان، وكأس حليب؛ أقصد نصفًا...

انظري إلى الجانب المشرق (قالت بسخرية): إنه أكل صحيٌ، ثم أضافت قائلة: ومن ثَمَ يبدأ عملنا اليومي...

- عمل؟ ألن نذهب إلى المدرسة؟

-مضحك جدا، ممنوع علينا الخروج، يأتي المدرسون إلى الصفوف هناك (أشارت بإصبعها إلى فوق) في الطابق العلوي.

-عملنا هو الخروج إلى الشوارع برفقة عجوزٍ، إلى مدينةٍ تختارها لك المشرفة، لتتسولا كلاكما فيها، وعندما يشفق عليك الناس سيعطونها المال، ثم تعودين إلى هنا عصرًا، لتكملي أشغال النظافة في الدار، أما المال المجموع فتأخذه المشرفة ولا أدري إلى أين...

-لكن التسول ليس عملاً، وهذا ليس بفعلٍ صائبٍ.

-الكبار هم من يحكمون ما إن كان الفعل صحيحًا أم خطئًا...
-لكنني أعرف أفضل منهم الصحيح من الخطأ، كبارٌ هذا لا يعني أنهم لا يخطئون، اللعنة، إن الأخطاء تأتي من الكبار أصلا...
-لا تتذمري يا فتاة...
سمعت الفتاتان طقطقة الأرجل على بلاط الرواق، منذرةً بمجيئ المشرفة.
-هيا يا فتاة، تظاهري بالنوم، نفساء قادمة.
عندما دخلت المشرفة، كان الجميع في حالة إغماءٍ، لدرجة أنها صدقت نومهن جميعا، حينها ارتاحت لتكمل رحلتها الخبيثة في رواق الدار، نازلة إلى الطابق السفلي.
أفاقت زاينو من نومها الكاذب، وخرجت متقفيةً أثر المشرفة...

في القبو في الطابق السفلي للدار، اجتمعت المشرفة مع ثلاثة رجال في عمر أبيها تقريبا، أحدهم حارس واقف بجانب الباب، وزاينو تسترق النظر عبر شق الباب، الذي لم تنتبه نفساء لإغلاقه، فكل البنات نيامٌ.
-قالت نفساء: يا سيدي أنا أحترم تواجدك معنا، أنا أتعامل معك بنفسي بدلا من أن يتعامل معك الريس حيدر مباشرة، والذي لا يعرف نقاشًا.
-أتظنين أني خائف منكِ أو من ريسكم اللعين؟ ما أنا بعبدٍ للمال مثلكم، هذا المكان سيغلق، لقد رفعت عليكم دعوة فورا بعدما اكتشفت الأمر، لن تنجو من أيادي الشرطة، ستحولون إلى العدالة، وسينجوا الأطفال...
(وبدأ بالمشي نحو الباب) أوقفه الرجل الذي مع نفساء:
-ما الذي تظن نفسك فاعلا إياه؟ ماذا؟
- ليس لي حديث معكم بعد الآن، الحديث في المحكمة يا جبناء.
(واصل الذهاب إلى الباب، بينما زاينو اختبأت خلف العمود، واختفت بذلك صورة المشهد)

أخرج الرجل سكينا ليغرسه في قلب الحارس الذي كان قريبا من الباب، انصدم كل الحضور حتى نفساء ذاتها، لأنه لم يكن مخططًا له من قبل...

وقع الحارس غارقا في دمائه...

اقتربت زاينو لترى ماذا يحدث، لتفزع بصراخ الرجل بوتيرة منخفضة "لقد قتلته يا حقير".

فهمت نفساء ما الذي ينويه، وانتهت فجأة إلى زاينو، فأسرعت نحوها بكل حنانٍ:

-حبيبتي الصغيرة، لا تخافي، كل شيءٍ انتهى.

-ما الذي يحدث يا خالة؟ إنه دمٌ...

-تعالي معي وسأخبرك...

حملتها بحنان إلى الحديقة الخلفية وقالت: إن ذلك الرجل الشرير قتل العم الحارس، أنا حزينة جدا لأجله، وبإمكانه أن يقتلنا جميعا، ولا أعرف ماذا يجب أن نفعل؟

-هيا نهرب أرجوكِ يا خالة، أنا خائفة وأريد الذهاب إلى أبي.

-لا، لا، علينا أن ننقذ باقي الأطفال، ألا تريدين إنقاذهم؟

(واصلت زاينو الصمت وملامحها تكسوها الحيرة والخوف)

-سنخبر الشرطة، وعليكِ أن تنفذي ما سأقوله لك في سبيل إنقاذ حياة الأطفال...

أُشعلت النيران في كل الدار، وأُحرق كل ما هو هناك بما في ذلك الأطفال، نهاية تلك اللّيلة لم تكن محمودة، فقد همّ الأطفال بالهرولة والهروب، هناك من مات وهناك من قام رجال الإطفاء بإنقاذهم، وهناك من راحوا هنا وهناك بلا وجهة...

أما زاينو فهي برفقة نفساء، على وشك ارتكاب جريمة في حق نفسها، فقد شهدت قضائيا في المحكمة، ضد الرجل الذي كانت نيته إنقاذ أكثر من مئة طفلٍ، وانتهت محاكمته بعد شهادة طفلةٍ محرضةٍ إلى السجن لعدة سنين...

أشرقت شمس الصباح...

ذهبت نفساء للقيام باتصال خبيث، بعد إفلاتها بفعلتها، تاركة زاينو بجانب عمود كهربائيٍ، لأنهما كانا بانتظار الريس حيدر، ليجد حلاً لحفيدته بعد دمار الدار، وما أن تحركت المشرفة من محلها حتى هربت زاينو في ذلك الطريق بلا وجهة... وأخذت تمشي في طريقٍ لا تعرف نهايته، هدفها الوصول إلى أحدٍ يعرف أباها، لتغطس في حضنه فيحميها كالمعتاد...

الحياة طريق طويل، لا ندرك أياما اسمها البارحة، لنصبح في شيءٍ اسمه اليوم... وهكذا تمر السنين ونكبر، وليتنا لا نفعل، لأن الأسوء في الدنيا أنها لا تأتي كما نرغب، وفي كبرنا تغدو بجدية أكثر مما يلزم...

"لكننا كبرنا"

تلك الفتاة الجميلة التي ينزل على كتفيها شعرها البني الحريري، شكل وجهها البيضاوي المشبع بالبياض، ووجنتاها الحمراوتان، وشفتاها الصغيرتان الدقيقتان المرسومتان بعناية، جسمها هزيل قليلا كأنها مُنعت من الأكل، تبا إنهن اللّواتي يأكلن ولا يسمنّ، لا بد أنها منهن.

مشت تلك الفتاة في الطريق متجهة نحو المخبزة، لتقف بجانبها سيارةٌ...

-زاينو...

-أختي لووسي؟

(تتقدم نحوها)

- إلى أين في هذا الصباح الباكر؟

- أختي لوسي، إن اليوم هو عيد ميلاد ميلاني، أُنظري لقد جمعت من بيعي للفطائر بعض المال، وكنت قد طلبت كعكة صغيرة مكتوبٌ عليها اسمها، ستفرح كثيرا بها.

- اااااا حقا؟ لم أكن أعلم، ليتك أخبرتني منذ البارحة، كنت اشتريتها بنفسي، اذهبي إلى المخبزة، سأركن السيارة وألحق بك.

دخلت زاينو تلك المخبزة

-مرحبا أيها الأخ شرف...

- أهلا زاينو، لحسن الحظ أنك أتيتِ، كنت سأتصل بك على هاتف الميتم...

-نعم... أتمنى أن تكون الكعكة جاهزة.

- نعم هي جاهزة، أحضريها (آمرا العاملة) ... لكنني بخصوص العمل، لم أعد أريد منك الفطائر.

-ولكن لماذا؟ ألم تعد فطائري تُعجب الزبائن؟

- لا، ليس الأمر كذلك، ولكن مخبزتي الآن في فترة صعبة، سأكتفي بالخبز والكعك فقط، على كل حال شكرا لك.

(دخلت لوسي متزامنة مع مجيء الكعكة).

-بِكَمْ؟

-أربعون سنتا...

-خذ هذه، احتفظي بمالك.

(خرجت زاينو مكسورةً، محافظة على ابتسامة وجهها لمفاجأة صديقتها بوجه بشوش).

ركب كلاهما السيارة...

-زاينو...

- عيون زاينو...

-زاينو أنا جادة، أريدك أن تريْ شريط فيديو، ولا تغلقي الموضوع، أريدك أن تواجهيه ولو لمرة في حياتك، لا عيب في المواجهة.

- بإمكاني الجزم أن الموضوع له علاقة بأبي.

أعطتها الهاتف، ليظهر على شاشته العم بلال، لكنه لم يعد شابا، لقد أصبح أربعينيًا، كان كل شيء في وجهه يجعل منه رجلاً في منتهى الوسامة.

-أنا أبحث عنها منذ سنين، أرجوكِ يا ابنتي (موجها كلامه للصحفي) في كل مرة من كل عام أعاود المجيء إلى برنامجك وتُحسن ضيافتي، ولكنني أعود مكسور الخاطر، لأن صوتي لم يصل إليها، ولعلي اليوم بتطور وسائل التواصل أستطيع إيصال صوتي لصغيرة قلبي، التي أعلم حتما أنها على قيد الحياة في مكان ما في هذه الدنيا، لقد أصبحت في السابعة عشر من عمرها، أرجوكم. (ثم أجهشت عيناهُ بالبكاء)

رغم كل الحنان الذي تحمله زاينو، إلا أنّ هذا المشهد لم يحرك فيها ساكنا...

أعادت الهاتف إلى لوسي، ووجهت عيناها إلى الطريق...

-ولكن لماذا؟ لماذا كل هذه القسوة اتجاه والدك؟ زاينو عليك إخباري أنا جادة.

- لا تفسدي اليوم يا أختي، اليوم عيد ميلاد ميلاني، ولا أريد إفساد يوم صديقتي بأي حدث، أو بسبب أي إنسان مرّ في الماضي.

-زاينو هذا ليس ماضيًا، هذا والدك...

- ليس كل أبٍ... أبٌ.

أشرقت الشمس على أهل حي جونيش، وكأنه أول صباح لهم، كل الناس هناك مفعمون بالنشاط...

فُتح ستار نافذة في أعلى بيتٍ مُطِلٍ على طريق الحي... يقابل منزل العم بلال وتحديدا نافذة غرفة زاينو، شاب وسيم كأنه العم بلال في شبابه، في طيشه، ووسامته.

تنزل على جبينه غرة شعره الحريري، التي كثيرا ما ثبتها بالكريمات، ككل شباب اليوم.

ككل صباح عيناه ثُبتت على نافذة غرفة زاينو، لعلها هي من تفتحها، ولكنها بحجم أكبر من الذي تركها به، لكن الخالة سلمى هي من تفتحها مشعلةً نورها (اتخذت صوتها العالي كوسيلة لإيصال صوتها إلى نافذة الجيران)

-سنان، صباح الخير حبيبي...

- صباح النور أميرة سلمى

- اخجل يا بنيْ... ستغار مسعودة... اليوم عطلة وأنت مستيقظ، عساه خيرا؟

- الكسل ليس من طبع أهل جونيش يا خالتي، خاصة أيام العطلة، سأذهب إلى الجيم مع عبسي...

-حسنا حبيبي، بالتوفيق.

أغلقت الستائر لتوقظ نور بضربة خفيفة فوق اللحاف...

-نوور...

- ها، حسنا استيقظتُ...

جلس بلال على كرسي طاولة الطعام في الأسفل، واضعا يده على خده، غارقا في همه...

-سلمى: بلال، ألن تفتح المخبزة اليوم؟

- لا يا سلمى، أريد الراحة، أين نوور؟

- استيقظتْ، على الأغلب استيقظت... يا نوور...

- ها، ما بك؟ أنا هنا.

- اعتدلي يا فتاة.

- آهٍ أبي، صباح الخير.

- اقتربي، كم انتشر شريط الفيديو؟

- يا أبي (تمسك الهاتف) إنّه ينتشر، لا تقلق سينشره أصحابي، وأصحاب أصحابي، وجميع عائلاتهم (جلست تحت رجليه) حتى أنه لأجل هاتين العينين الذابلتين، سأقوم بترجمته، ليصل إلى مواقع أخرى أجنبية، هل يرضيك هذا؟

- كللك الله برضاه، ما عساني أقول...

غمرته بحضنها، لتفتح يديها أكثر مستدعية أمها، ليَكون ثلاثتهم في حضن عائلي عظيم.

حضن عائلي اشتاق إليه العديد من الأطفال مثل زاينو، التي كانت تُغمر في حضن ميلاني...

- دعوني آااكل هذه الفتاااة... هذه حبيبتي.

-كفى...(مازحةً)

أكملوا عناقهم، ثم قالت زاينو:

- هل أعجبتك الكعكة؟

- حقا رائعة! لكن ما زادها جمالا وجود اسمي عليها.

- في الحقيقة أختي لوسي هي من دفعت ثمنها، بالرغم من أنني جمعت المال لأجلها.

-ها قد بدأت (بمزاح)

عانقت ميلاني الأخت لوسي.

-أحبك يا لوسي، في الواقع أحبكن جميعاااااا.

-قالت لوسي: كفى حماسا(بمزاح)، هيا استمتعا بيومكما، عليَ إتمام بعض الأعمال التي كلفتني بها أمي، سيتم إرسال خمس بناتٍ أخرياتٍ إلى هنا، عليَ تولي الأمر.

-ميلاني: حسنا، أعانك الله.

كانت لوسي على وشك الذهاب، قبل أن توقفها زاينو...

- لحظة، أنا قادمة معك، (ثم موجهة كلامها إلى ميلاني) احذري أن تكملي الكعكة.

جلست لوسي إلى مكتبها وأمامها زاينو...

-أختي لوسي، أنت تعرفين مكانتك في قلبي، فليس لي غيرك أنتِ وميلاني وداني يساعدوني على مرّ الحياة، إذا طلبتم الروح سترخص، ولكن لا أريد أن يُنبش ماضيَّ الذي أمقت، أريد العيش في سلام بعيدة عنه...

-صدقيني يا زاينو، مهما كان الماضي سيئًا، لا سلام بعيدا عن والدك، مهما يكن عليكِ المواجهة، أنا علمتكِ أن تواجهي كل صعبٍ بالقول، لكنني اليوم أريدك أن تفعليها، أيعجبك رؤية والدك مكسورًا أمام ملايين البشر؟ ولا يعلم أن ابنته تشاهد مقطعه مرارا وتكرارا ولا تهتم؟

لوسي في عمر الثامن والعشرين من عمرها، إلا أنه بإمكاننا القول أنها هي من علمت زاينو الصغيرة والكبيرة، الصحيح والخطأ، ولازمتها حتى الكبر.

- معك حق في كل حرف تقولينه، إذا كان الأب لفتاة أخرى، ولكنه أبي أنا (ما أجملها من جملةٍ، كأنها تقول أنه ليس أبًا لغيري، كانت عبارةً جميلةً قبل أن تكملها) أبي وأعرف أفعاله الشنيعة، ولن أسامحه وإن بات مُشعلا أصابعه شمعا، حسنا أنا أسامحه، ولكن أبدا لا أريد رؤية وجهه.

- بغلاوتي عندكِ، أنيري فكري بكلمة على الأقل...

- لووووسي...

-حسنا على الأقل ما اسم حيّكم القديم؟

- حي جونيش، لكنني لا أذكر أبدا المدينة... أبدا.

-أووووف

- لوسي، قبل أن تركن والدتك السيارة أمامنا، وألجأ إليها...

لتعود بزاينو الذاكرة ونعود معها جميعا...

-الريس حيدر: نعم يا ابنتي(يبكي)، ليتني أستطيع تغيير أي شيءٍ لأجلك.

-زاينو (تبكي بهستيريا): لا يا جدي، أريد رؤية أمي، أريد أمي، إنّ الطبيب ينقذ المريض، أعطه المال لينقذ أمي...

- (بخبث) والدك، والدك السبب، الخلاف بينهما أشعل الحقد في قلبه، قتلها وحرمك الحنان وشردك...

- جدي أرجوك، أنا لا أفهم، أريد العودة إلى البيت، خذني إلى بيتي.

-أتريدين والدك؟ أتثقين بمن قتل أمك وتركها غارقة في دمها بشكل مرعب؟ حسنا، لك ذلك، سآخذك...

تستمر بالبكاء دون إدراكٍ، مشهد يدمر الطفولة حرفيا...

تمكنت زاينو حينها من الإفلات من رجال الريس حيدر، لتنقذها ميلاني وتخبئها منهم ريثما غادروا، والتي كانت بدورها قد هربت بعد حريق المتيم...

أفشلت الشمس جسميهما، فاتكأتا على بعضيهما، لتقف أمامهما سيارة تقودها امرأة شابة برفقة ابنتها، التي كانت في العشرين من عمرها، وهي لوسي...

تستفيق زاينو من ماضيها المريع، ونستفيق معها، لا أعلم لماذا أحسست أن واقعها أجمل؟ هل أحسستم بنفس الشيءِ؟ تبا لم تحسوا أصلا.

- هذا فقط.

- بكلام جدك جزمت أن والدك الفاعل؟

-جدي لم يكذب، إنها ابنته، لماذا يكذب بشيءٍ كهذا؟

- هاها!!!!... لقد قتلها قبل قليل، ليس كل أبٍ... أبًا

أكملت كلامها متجهة نحو النافذة التي تطل على ساحة الميتم...

-أفيقي يا زاينو، الأب شيءٌ عظيم، ووجود والدك حيا يرزق ويخرج أمام الجميع بكسرة روح، يحثًا عن ابنته ليس بالقليل، إنها نعمة يفتقدها الكثير، أُنظري إلى ميلاني (ترى ميلاني تخاطب كهلا وداني معها) رُغم أن والدها كهلٌ متطفلٌ، يتسول من شخص إلى شخص ويواصل الشرب في الأزقة، وينام في الشوارع، ولا يكف عن

مضايقتها، حتى يسلب منها القرش الواحد، إلا أنها تفرح بمجيئه وتسعد بوجوده غير النافع في حياتها، أعطه فرصة وأُجبري كسره...

(تلمح ميلاني لوسي، وتلوح لها بيدها، وتسألها عن مكان زاينو).

- حلِقي، أصدقاؤك بانتظارك...

- حسنا، أنا ذاهبة...

-فكري في كلامي...

خرجت زاينو راكضة إلى الرواق، متجهة إلى الساحة، لتصطدم بالسيدة نوزة...

-آسفة سيدتي، الحمد لله على سلامتك، هل شُفِيَ كسر قدمك؟

-نعم، أُنظري أنا أمشي جيدا، وها أنا قد عدت إلى عملي.

-ماذا؟ وأختي لوسي؟

-لوسي دارسةٌ للقانون، بإمكانها الحصول على أيّةِ قضية في أي وقت، أو التقديم على منصب في التعليم، أما أنا فهذا مكاني منذ شبابي، هيا حلقي(تذهب)

- حلقي، سأستمر بالتحليق على الرغم من جناحيَ المجروحين.

خرج سنان إلى الحي وهو يناظر كل صغير وكبير...

-أهلا يا عم نيسوس، هل لي بمقعدٍ؟

- أُسكت، هل لك بالفوز أمامي؟ والدك لم يفعلها، فمن أنت لتفعل؟

كان العم نيسوس يتحدث عن لعبة الدومينو، لكن سنان تذكر والده العم محسن، الذي طلق الخالة مسعودة... ربما هكذا أحسن لكليهما.

وقف سنان أمام منزل الإخوة نيسوس مناديًا على عبسي...

-عبسي، عبسييي هيا يا صاح...

ينزل عبسي مسرعا والعمة نيسوس خلفه، تستمر في توصيته، رغم أنها تعلم يقينًا أنه سينسى...

-عبسي قادم، قادم...

- ها هو المال في الجيب الأمامي، قدِمه قبل أن تلعب، هاه... تبا سأعطيه لسنان...

خرج كلاهما متوجهان إلى صالة الرياضة...

-أنا اعتدت على هذا الطريق.

- اااوه عبسي، أنا حقا مرهق اليوم، ولا أريد إطالة الطريق، فلنذهب اليوم من هنا، وأعدك غدا...

- لا لا لاااا عبسي يريد المرور بجانب منزل زاينو.

- حبيبيبي، زاينو بالكاد تذكر وجودك...

- زاينو تحب عبسي، هي قالت ذلك.

-هاااا، لو كانت تحبك لكانت هنا، لا عليك يا صاح، استمر في براءتك.

- سنان يشتاق إلى زاينو...

-إنها آخر اهتماماتي، لا بد أنني التقيتها ولم أتذكر ملامحها التي كبرت.

- سنان يراقب نافذة زاينو، يحبها بشدة...

- ماذا؟ عبووس أنت تخيفني حقا... لا تُعد هذا الكلام مرة أخرى، سنان يكره زاينو... ماذا؟ سنان يكره زاينو وبشدة.

- الكره شيءٌ سيئٌ، الكره سيئٌ، لا يجب أن نكره الناس.

- عبووس، نحن نكره السيئين، عاهدتنا على الرجوع ولم تفعل...

- عبسي يحب زاينو، وسيبقى في انتظارها، زاينو تفي بالوعود.

- مع من أتحدث؟ امشي هيا.

جلست زاينو بجانب صديقيها...

-هدئي من روعك يا ميلاني.

-ميلاني: لقد كنت أحمل ورقة فأخذها مني، يا له من أبٍ... من المفترض أنه هو من يعطيني...

-داني: انسي الورقة، خذي (يعطيها مالا) هاهي ورقة أخرى، وانتبهي لي...

-ميلاني: هاااا، هذا من دواعي سروري، هذا داني لا أعلم لماذا أحبه...

-داني: لأجل الورقة، حسنا انتبها، علينا التقديم غدا، ولم نجد عينةً للدراسة عليها بعد، لا يوجد أطفال متوحدون في هذا الميتم؟

-ميلاني: ييووه ويحك يا دندن، تخيل معي، لا يكفي أنك يتيم ومتوحد كذلك؟

-زاينو: ولما لا، عبسي كذلك...

-قالا مع بعض: عبسي؟

-زاينو: نعم (بابتسامة بريئة، ونظرة كأنها تستحضر جميع ذكريات الطفولة) حبيبي الصغير، ربما يكون قد كبر الآن...

لقد توفيَ والداه في حادثٍ، وشاءت الأقدار أن يكبر في حضن عمه وعمته، وهو ملموسُ طيفِ توحدٍ.

-داني: حسنا زاينو (وهو يُدَوِنُ أقوالها في دفتره) هل كان يعاني من التنمر؟

-زاينو: اا لاااا... لا أحد من الجيران كان ينظر إليه بغرابة، الكل يعرفه (ثم تتذكر) لا، يونس فقط... في بعض الأحيان يقوم بازعاجه في حصة الأناشيد في المدرسة، وأيضا لأنه يكره العناق، والتلامس المستمر.

جلست لوسي تجمع أغراضها لتباشر البحث على عمل جديد، ومازالت قصة زاينو تشغل بالها...

مشى الثلاثة يتحاكون، بينما فِكْرُ زاينو كان الفكر الوحيد المشغول...

-داني: دعونا نجلس هنا...

-ميلاني: أجل، دعونا نُحيي الذكريات...

-داني: هل تتذكرون متى تعارفنا؟ لِنَعُدْ عشرة سنوات إلى الوراء...

-ميلاني: نعم لقد كنت فتًى أحمقًا مجعد الشعر، أشفقت على كلينا عندما جئت برفقة أمك من أجل التبرع للميتم، وبحكم منزلك القريب منا، ترددت علينا باستمرار، وتعمدت مصادقتنا لمصلحتك طبعا...

-زاينو (مررت عيناها باستهزاء): أُنظر إليها...

-داني: لو سمع غريبٌ كلامك، لظن أنك مليونيرة...

-ميلاني: ها طبعا... والداك رائعان يا داني، أنتَ محظوظ بهما.

-داني: ليس كل الآباءِ آباءً، لا تغركنّ المظاهر يا بنات.

-زاينو: أوافق داني الرأي...

-ميلاني: وجود الآباء وحده يعني الكثير، صحيح أنني أردت أن أحظى بأبٍ رائعٍ يميزني عن الجميع، ولكن على الأقل أملك أبًا مستفزا طماعًا، على الأقل أملك أبًا.

-داني: أنت (ملتفتا إلى زاينو) لم تحدثينا من قبل عن والدك...

" لكلٍ منهم هَمٌ "

جاء اللّيل وما زال بلال ينتظر اتصالا واحدا يبشره بظهور ابنته، ولكن بلا جدوى...

-نور: يا أبي، لا تبقى جالسا هكذا، إذا وصل الخبر إلى زاينو فإنها ستأتي راكضة وتدق الباب، لا داعيَ لانتظارك المطول أمام الهاتف...

-بلال: لابد وأنها رأت الفيديو، لا داعي للإنكار يا ابنتي، لقد كبرت بمفردها، وتود الإكمال كذلك...

وهما كذلك إذ بهما يسمعان دق الباب، فانتفض بلال ليفتح ظنا منه أنها زاينو...

_مرحبا عمي...

_آه سنان يا بني، تفضل.

_العم بلال ينتظر زاينو، حتى عبسي كذلك...

_تفضلا يا ولداي...

أحضر سنان الفطائر، وجاءت الخالة سلمى لأخذهم.

جلس الجميع في غرفة الجلوس، وساد الصمت قبل أن يكسره سنان فجأةً...

_عم بلال، هل من خبر؟

-نور: من أين يا سنان؟ لو كان ميتا لوجدناه، وهي حية ولم نستطع العثور عليها.

-بلال: ماذا لو كانت ابنتي ميتة؟ ماذا لو...

-سلمى: وحد الله يا رجل، بإذن الله هي حية ترزق، أنت لم تستسلم منذ سنين، أتستسلم الآن؟ ادعو في صلاتك أن يصلها الخبر، وسيُسَخِرُ الله لك آلاف العباد والأسباب لتدرك وتأتيك...

-سنان: ما أريح كلامك يا خالة سلمى، هل من عشاء؟

-نور(ساخرة): كنت أقول ما الذي جاء به؟

ضحك الجميع بمزاح، إلا بلال الذي كان كالعادة غارقًا في همه، لن يخرج بلال من تلك الدوامة حتى تعود إليه زاينو ويُرضي ضميره...

وصل أخيرا دور ميلاني في حمام الميتم، لتخرج منه شاعرة بالانتعاش، ذهبت الأخيرة إلى زاينو لتجفف شعرها بالمنشفة.

لطالما كانت كالأم بالنسبة لها، ميلاني تدمر وتنفجر اليقطينة على رأسها دائما، هذا لتهورها الدائم.

-زاينو: لقد أخبرتك ألف مرة، يكفي ماسكات تؤذي شعرك، ليتك تصغين إلى كلامي.

-ميلاني: دعك من هذا، أخبريني الآن، كيف سأساعدك لإيجاد ذلك الرجل؟

-زاينو: اخفضي صوتك، ميلاني أنا كبرت وكبر هذا الحمل معي، خمسون بالمائة أن أكون شهدت زورا وسجنت رجلا مدى الحياة، يا ميلا كان يصرخ' لدي أطفال، لقد ظلمتموني'.

-التفتت ميلاني إليها مباشرة: زاينو، نفساء وشركاؤها كلهم مجرمون، لقد ظلموا وضربوا أطفالا كثُرًا، ولم يستطع أحدٌ إيقاعهم في الشبكة، وعلى حسب ما فهمت أن هذا الرجل مدركٌ لأفعالهم، وقد استغلوكِ كشاهدٍ على القضية ضده، ومعرقلاً لطريقه.

-وقفت زاينو واتجهت نحو تلك النافذة مستنشقةً الهواء: لا أعلم كيف؟ ولكن عليَ إيجاده (والتفتت مباشرة إلى ميلاني) وأنت ستساعدينني.

-ميلاني: طبعا يا زاينو، عليك إيجاد الريس حيدر ومعاقبته، جدك... حينها فقط ستتبرئين من ذنبك، لأنك وحدك من تحملين هذا الوزر.

أولا سنصل إلى نفساء، وسنجبرها على إعطائنا اسم ذلك الرجل على الأقل...

-زاينو: وجدي؟

-ميلاني: لا أظن أنها باقية على صلة به، ولكن جدك سيظهر أمامنا في حالة واحدة فقط...

-زاينو: وما هي...؟

جلست لوسي على طاولة الطعام تُجري اتصالا من هنا إلى هناك، للحصول على منصب عمل يلائم شهادتها...

-لوسي: حسنا، شكرا لك سيدي (أغلقت الهاتف) لا تتكبري يا لوسي، عليكِ الآن العمل في أي مكان لتُحَصِلِي المال، ثم بعدها بإمكانك فتح مكتب المحاماة...

سأجرب هذا الإعلان، مُدَرِسَةُ قانون، سيكون هذا ملائما، ولكن المدينة تبعد عن هنا حوالي خمسٍ وثلاثين كيلومترًا.

وقف سنان في غرفته مقابل نافذة غرفة زاينو، أما عبسي فجلس على سريره يحضر الدروس.

-سنان: يا له من مللٍ...

-عبسي: الملل يعني أن النشاط الذي تقوم به لا يُشعرك بالاهتمام والرضا.

-سنان: عبسي ما الذي تفعله، ارمي الكتب ولنقم بشيءٍ مُسَلٍ.

-عبسي: يعني أنشطة تُشعرك بالسعادة، بحث الحقوق؟

-سنان: عبسي، يا أخي بحث الحقوق ارتجالي، وسآخذ علامة F كالعادة... وثانيا الأستاذة حامل، ولن تعود إلا بعد ولادتها...

-عبسي: منطقي...

فجأةً رن هاتف سنان...

_أهلا نورس...

_أهلا سنان، كيف حالك؟

_بصراحة؟ نشعر بالملل كثيرا أنا وعبسي.

_(ضحكت) كنت أعلم، الجميع هنا، فلتحضر عبسي ولتأتيا إلى هنا...

حتى جودي حضّرت كعكة باربي خاصتها.

_سأسترجعها باربي، لقد فقدت لذتها.

_لكن للكعكة طعم آخر، وفكرت بك قبل تقطيعها، هل ستأتي؟

_ها، طبعا ليس لدينا حل آخر لجلب السعادة،

_حسنا بانتظارك.

أغلق سنان الخط وفتح الخزانة لاختيار الكنزة المناسبة، ثم التفت إلى عبسي.

_عبسي، سنذهب إلى الأصدقاء، إنهم بانتظارنا، موافق؟

_نعم موافق... لنمر على نور، ولنخبرها لتذهب معنا...

_عبسي، الدنيا ليلٌ والعم بلال لن يقبل بمجيئ نور معنا، ثم أنها لا تتعامل معك بودٍ مطلقا، فاترك ياقتها عزيزي لا تهتم.

نورس ابنة عائلة ميسورة الحال، ربما ليست عائلة غنية إلى تلك الدرجة، ولكنها الطفلة الوحيدة لأهلها، ودُللت لدرجة أنها لم تعتد على رفض الطلبات... وهي بفستانها الطويل الوردي، وشعرها المسدول إلى أسفل ظهرها، أبهرت أصدقاءها الحاضرين، فالكل يحترمها...

جلس الأصدقاء حول طاولة تتوسطها كعكة رهف، التي سُميت باسمٍ زادها جمالا على جمالها ولطافة، إلا أنها لم تجد المكان المرغوب بين أصدقائها، ولا الصداقة التي تريدها.

-أمير: احترق قلبي لأجل الكعكة، هل سيتأخر عبسي وسنان أكثر من ذلك؟

-يونس: لا أعتقد، علينا الانتظار بعض الدقائق بعد.

-أمير: فروة، السِكِينَة بجانبك (موجها كلامه ليونس)

-اسمي يونس يا جماعة.

-رهف: فروة... هههه

-شبيبة: وأين الفكاهة يا هذه؟ أصلا زاينو هي السبب، هي من أطلقت عليَ هذا اللّقب.

جودي: زاينو... أصبحت أسمع عنها أكثر من أي شيءٍ آخر.
-يونس: هاا زاينو، كانت فتاة رائعة، كنا نتشاجر باستمرار.
-أمير: ولكن لماذا؟ أقصد لماذا تتشاجر مع فتاةٍ؟
-يونس(باستهزاء): لأنها لا تقبل بدخول شخص آخر على الثلاثي العجيب خاصتها...
-نورس: الحمد لله أنها ليست موجودة الآن، لأنني حتما كنت سأكون من كارهيها.
-أمير: وأنا أول معجبيها، وددت كثيرا التعرف عليها.
-يونس: لابد أنها كبيرة الآن، وجميلة أكثر من قبل.
-جودي: هاها شبيبة قد غرقت.
-أمير: هات السكينة، سأقطع...
-نورس: لا، توقف لا أحد سيقترب من الكعكة قبل مجيء سنان.
-أمير: تبا للجميع.

خرج عبسي وسنان من المنزل، وكان الأخير واثقًا بشدة، فأخوه فرات لن يقوم بإزعاجه في موضوع السهر خارج المنزل، بعد أن أصبح مسؤولا بعد ترك والدهم لهم، إنه العم محسن...
أطلّت ملاك من نافذة غرفتها، لتحرر نفسها من أسر والدها...
_سنان، إلى أين أنتم ذاهبون؟
_ها؟ لم أسمع؟
_إلى أين نحن ذاهبون؟ (قال عبسي).
_آاااا اتصلت نورس، وقالت أنّ الجميع بانتظارنا في الصالة.
_أرجوكما، أريد الذهاب.
_ولكنكِ لستِ مدعوةً... (قال عبسي).
-سنان: أُصمت... هيا فلتخرجي.
-ما كانت تعيشه ملاك حرفيا لا أحد يعلمه...

ارتدت معطفها لأنه حلّ البرد بحلول اللّيل، وخرجت إلى الأولاد، توقفت سيارة فُرات أمامهم، وتغيرت ملامح سنان فجأة.

-فرات: ظننتَ أنني أداوم في المركز ليلا؟ لهذا ارتديت وجمعت أصدقاءك وبدأت بالإفلات؟

-سنان: أيُّ إفلاتٍ؟ أصدقائي اجتمعوا للاستمتاع، ونحن ذاهبون إليهم...

-فرات: عُدْ أدراجك إلى المنزل، الوقت متأخر.

-سنان: ولكن يا أخي.

-فرات: كلامي لن أعيده مرتين.

تبادل الثلاثة نظراتٍ فيما بينهم، وعاد سنان مع أخيه.

دخل سنان باندفاع إلى المنزل، حتى أنّه لم يرَ أمه الخالة مسعودة عندما سألته عن سبب عودته، وماهي إلا دقائق حتى حصلت على إجابتها برؤية فرات يدخل.

-فرات: ابنك هذا لن يتصلح، مادام يُصادق هذا وذاك...

سمعه سنان وخرج من باب غرفته، ووجه أحمر من شدة الغضب...

_أصادق من؟ هل صادقت غريبا قط؟ كل من صادقتهم لم تقصر أبدا في حقهم، فقد كنت دائما تأتي وتخرب بيننا، بلعبك دور الأخ الأكبر الراعي لأخيه الصغير، هل أنا عاجز؟

أراد فرات الكلام لكن سنان لم يعطه الفرصة وواصل كلامه.

-لستُ عاجزا على ما أظن، سنين حياتي كاملة وأنا أكبر تحت حكمه وهيمنتك، لو أفرغتَ طاقتك هذه في عملك لكنت رئيس المركز، لا رئيس الجنايات فقط، تعاملني كما تعامل كل متهم عندك...

أنا إنسان وأعيش سني، عليك فهم ذلك، كُفَّ عن المجيء إلى الثانوية والاستمرار في إحراجي، والسؤال عن راحتي واحتياجاتي وتصرفاتي في الصف...

فرات، أنا لم أعد صغيرا، عدم وجود أبٍ في حياتي لا يعني أنني سأضحى عاجزا بعده، سيعود ليأخذني وتصبح حياتي بأحسن حالٍ بعدها...

- (هنا طفح الكيل مع الخالة مسعودة): سنان، أغرب بوجهك من المكان.

انصرف سنان إلى غرفته تحت انكسار خاطر الخالة مسعودة، وذهول فرات...

-فرات: هل هذا أخي الصغير؟ ليس بزمان بعيد كان يطلب مني ألا أتركه بمفرده، فهو لا يستطيع... والآن يقولها حرفيا، أن أبتعد عنه؟

-الخالة مسعودة وهي تبكي: حقا يريد العيش مع والده؟ حقا لم يعد يريدنا؟ لقد عملتُ على ألا ينقصه شيءٌ، ومع ذلك (ثم أجهشت بالبكاء)

-احتوى فرات والدته، وحضنها ليخفف عنها: دعكِ منه يا أمي، الإنسان بطبعه هكذا، يُذل الشخص الوحيد الذي يعزه، ويُعلي أكثر شخصٍ يؤذيه، ثم فإنّ أخي سنان يصارع سنّ المراهقة، علينا تحمله.

-الخالة مسعودة: أحقا ما تقوله يا بنيْ؟

-فرات: نعم حبيبتي، وتأكدي أنني حتى ولو أُضطررت إلى سجن ذلك اللعين، لن أتركه يأخذ سنان معه.

-الخالة مسعودة: لا تتحدث على والدك هكذا يا حبيبي.

-فرات: ليس كل أبٍ، أبًا، وخاصةً السيد محسن...

" اللّقاء المنتظر "

تأخرّ كلٌ من ملاك وعبسي بعض الشيء على أصدقائهم، إلا أنّهم وصلوا وقَطَّعُوا الكعكة، واستبدلوا ساعات الملل بساعات لا تعوض من السعادة.

في الجهة الموالية في حي آخرٍ، وتحديدا في ذلك الميتم، تجلس ميلاني وزاينو وهما تنسجان خيوط الأفكار، للوصول إلى الخيط الخشن الذي سيساعدها على الوصول إلى راحة ضمير زاينو من شهادة زور.

-تقول ميلاني: صدقيني يا زاينو، لن يظهر جدك إلا في حالة ما إن خرجتِ أنتِ إلى الوسطِ، وقابلتِ والدك.

-زاينو: فلتلغي هذا الاحتمال، لأنني لن أخرج قبالة والدي البتة، باستطاعتك الوصول إلى نفساء، وهي إن لم تعرف مكان جدي، فهي حتما تعرف اسم الرجل الذي ظلمته، حينها سأحاول الوصول إليه والاعتذار منه.

-ميلاني: الاعتذار؟

-زاينو: أعرف أن الاعتذار لن يغير من مجرى الحياة شيئا، فسنين سجنه قد مرّت، ولكنني على الأقل أكون قد برّأت ضميري.

-ميلاني: غدا بعد المدرسة سأتجه إلى دار العجزة، هناك كان آخر مكانٍ التقيت فيه بنفساء، لديها أبٌ عجوزٌ تقوم بزيارته بين الحين والآخر... لرُبَمَا نأخذ رقمها من إحدى الممرضات.

-زاينو: لعلنا نصل بتفكيرنا هذا إلى شيءٍ واضح.

وضع سنان صورة أبيه العم محسن أمامه، وأخذ يتأملها...

-سنان: لو كنت هنا يا أبي، لما وصلت الأمور إلى هذا الحد، أنت لم تظلم أحدا بقدر ما ظلمتني، كنت سأكون أسعد وأرضى لو كنت برفقتك في أي مكان كنت فيه.

هذه أماني سنان التي تتكون من كلمات بسيطة، إلا أنّها كانت بمثابة سكاكين تهاجم قلب والدةٍ، أفنت العمر تسعى لإرضاء ابنها، إلا أن سنان لا زال متشبثا بأبيه.

في صباح اليوم التالي استيقظت لوسي وركبت سيارتها، لتذهب إلى التقديم على وظيفةٍ، عساها تكون الأخيرة قبل فتحها لمكتب محاماة صغيرٍ.

وصل إلى تلك المدينة، وكان التعب ينهكها والخوف بادٍ على وجهها، فإن لم تُقْبَلْ ستكون كسرة روحٍ بالنسبة لها، وإن قُبلت فستبدأ بالتخطيط إلى كيفية الانتقال والعيش في مدينة هي غريبة عنها...

فكل شيء متوفر للإنسان إلا الرضا وراحة البال، كلٌ شيءٍ مخلوق في الحياة عداهما...

امتلأت ساحة الثانوية بالفتيات والفتيان اللّذين يستقبلون اليوم الجديد بعفوية ومرح...

وهاهي نورس هناك تنزل من سيارة أبيها كالمدللة، وتجلس قبالة الباب تنتظر سنان وعبسي، أو بالأحرى سنان لوحده، اللّذان لا يزالان يتسكعان في شارع الحي، وكأن الثانوية ملكٌ خاصٌ لوالديهما.

ملاك والتي كنت قد حدثتكم عنها ليلة البارحة، تظهر إلى الخارج وتداوم في الصف بشكلٍ طبيعيٍ، إلا أنها تعاني خلف جدران بيتها، والدها سيدٌ متذمرٌ سكيْر، يدور ويدور ليعود سكرانا لا يفقه للحياة معنًى، فيجعل من جسمها النحيل لوحة فنية في العذاب والتعذيب، ليتحول كل ساكن فيها إلى متألمٍ، وهي صابرة راضية قائلة: أبي حتى وإن جار به الزمان...

زاينو وميلاني ذهبت هذان الفتاتان إلى دار العجزة، استقبلهما الحارس وقام بفحص كلٍ من بطاقتهما، وعرف من خلالهما أنهما قاطنتين في الميتم، لكنه سمح بدخولهما.

تقدمت ميلاني إلى الممرضة، وألقت التحية...

-ميلاني: نارسا، أنا أريد منك معروفا، عساكِ تساعديني.

-الممرضة: طبعا، إن كان بمقدوري لما لا؟

-ميلاني: أنا أريد الحصول على عنوان أو حتى رقم نفساء جابر، أو على الأقل أي وسيلةٍ للوصول إليها.

-الممرضة: نفساء جابر؟ هل هي قاطنة لدينا؟

-ميلاني: لا، إنها تأتي باستمرار من أجل لقاء والدها العجوز، الساكن لديكم هنا.

-الممرضة: عجبًا، ولكنني لم أعرفها، ما هو اسم والدها؟

-ميلاني: والله لستُ أعلم، أنا لا أعرفه لا اسما ولا وجها.

-الممرضة: لا أعلم، سأتفحص سجل الزيارات، لربما يوصلنا إلى من تريدين.

في هذه اللحظات تركتهما زاينو، لتلقي نظرة عمّن يُلقون في دار العجزة، مَن لا أهل لهم طبعا.

-زاينو: أحيانا يقول المرء لو أنني لم أولد قط، لَكُنْتُ في أحسن حالٍ بعيدا عن هذا... هل هؤلاء آباءٌ وأمهاتٌ لرجالٍ ونساءٍ؟

-أجابها صوت خافت من ورائها، إنه عجوز في الستينات من عمره: نعم...عذرا لم أكن أسترق السمع، ولكن كنتِ تفكرين بصوت مرتفع يا ابنتي.

-زاينو: لا يا سيدي، حاشا، هل أنت ساكنٌ هنا.

-السيد: نعم، هذا منزلي وهؤلاء أهلي وخلاني، وهذه حياتي.

-زاينو: فقط كنت أقول لماذا عليكم الجلوس هنا بينما لديكم أهل وأقاربٌ، عدا ذلك بنينٌ وبناتٌ...؟

-السيد: ليس كل الأهالي مجبورون على الاهتمام بك إن أضحيتِ عاجزة.

-زاينو: لماذا نسميهم أهلا إذن؟

-السيد: نسميهم كذلك لتكون لنا في الحياة شجرة أقارب، نتباهى بها أمام الناس... عدا ذلك فبينك وبين نفسك، أنتِ أدرى بالموضوع.

-زاينو: وأنت؟

-السيد: ها أنا، أنا لدي ولدين، البنت توفيت في عمر صغير، وابني لم تحتمل زوجته بقائي فوق رأسهما بعد وفاة زوجتي، فحملوني إلى هذا السكن الجميل.

-زاينو: رحمة الله على ابنتك وزوجتك، لم أقصد تذكيرك.

-السيد: والرحمة كذلك على ولدي، عسى رحمة الله تسقيه حيًا قبل مماته.

-زاينو: حتى بعد أن رماك، لا تزال تواصل الدعاء له غيبا؟!

-السيد: قلوب الآباء حنونة، والولد ولدٌ عاش بين البؤبؤ والعين، فالحق معهما لولا عجزي لكانا تحملاني أكثر.

-زاينو: ولكنك والحمد لله لست بعاجزٍ إلى تلك الدرجة.

-السيد: العجز في الجسد لا يعني كل العجز يا ابنتي، ربما أنا عاجز...

قطعت كلامهما الممرضة باندفاع، وكأنها تمنعهما من الإكمال: «سيد مجدي»

-كم مرة قلت لك لا تزعج الزائرين؟

-زاينو: لم يكن يزعجني، كنا ندردش ونتبادل أطراف الحديث، أبي سأعاود المجيء خصيصا من أجلك...

-السيد: ولكن من أنتِ؟

-زاينو: ماذا؟

-الممرضة: لا عليكِ، لا تبادليهم الحديث، السيد مريض زاهايمرٍ.

كان عقل زاينو ثرثارا في العادة، لكن هذه المرة ترك العنان لدموعها بدلا منه...

-ميلاني: زاينو، لم أجد رقم نفساء، لابد وأنها متخذة كل احتياطاتها لتضمن عدم الوصول إليها...

-زاينو: لا أظن ذلك.

بدت ملامح التساؤل على وجه ميلاني.

-ثم أكملت زاينو: فلنعد...

جلس الأصدقاء في ساحة الثانوية بعد غياب الأستاذة، كانت ملامح سنان شاغلةً أعين نورس، أما ملاك فتفكر في الذي ستواجهه من جديدٍ، بعد أن تعود إلى بيتها.

أما لوسي فزارت إدارة مدرستهم لتُقَدِمَ على العمل، ولحسن حظ الجميع حرفيا، تم قبولها، فلم تُضيع الوقت وقامت بكراء منزل بسيط، لترتاح فيه آخر الدوام.

-لوسي: مرحبا بالجميع، أنا أستاذتكم الجديدة مؤقتًا، ولكن وقتنا مع بعض هذا ثمين، لعلنا نستغله في الفائدة، سنستمر من أين توقفت الأستاذة بالضبط، أما الآن فدعوني أتعرف على كل واحدٍ منكم.

في آخر اليوم عاد الجميع إلى منازلهم، وكلٌ منهم في قلبه مآسٍ وهمومٌ.

ركنت لوسي سيارتها وبدأت في التفكير: لعلني أجد مطعما أبتاع منه سندويتشا.

وهي كذلك وصل الأصدقاء عبسي، سنان، نور، وملاك إلى حيّهم.

-نور: مرحبا أستاذة، كيف نستطيع مساعدتك؟

-لوسي: أهلا... ذكريني باسمك...

نور: اسمي هو نور...

-لوسي: نور، أنا أصبحت قاطنة في هذا الحي، ولا بد أنه حيُّكم، وها أنا أبحث عن مطعمٍ أبتاع منه العشاءَ.

-نور: فلتأتي إلى مطعم والدي، إنه يُعِدُ أشهى وألذ المأكولات.

-لوسي: أحقا؟ اصعدوا إذن.

برفقة لوسي ذهب الجميع إلى مطعم العم بلال...

-ميلاني: منذ عودتنا وأنت شاردة هكذا، لم تتفوهي بحرف واحدٍ، أخبرتك أننا سنجد السيد، وستبرئين ذمتك، لا عليك من العقبات.

-زاينو: أنا أفكر في تلك الدار، وفي ذلك السيد، لا يبدو وكأنه مريض زهايمر، إنه أوعى مني ومنك، وعمره ستيني من وجهة نظر أخرى، واندفاع الممرضة وكأن دردشتنا فيها ملمس أذًى.

-ميلاني: الممرضة عفوية، تصرفت ببلاهة لتبعدك عن المرضى، كي لا تتسبب لك في المشاكل، لكن الذي يهمنا هو نفساء...

-زاينو: هناك احتمالان، إما أن الممرضة تعرف نفساء ولا تريد إيصالنا إليها، أو أنّ نفساء ليس لها والد هناك أصلا.

في منزل لوسي جلست متيقنة بالذي حدث.

-لوسي: والدها، إنه والد زاينو، لقد التقيت والد زاينو، يا رب كيف ستصبح حالته بعد أن يرى ابنته؟

وهي كذلك اتصلت ميلاني مكالمة فيديو لتفتحها لوسي مباشرة.

-مرحبا.

دخل سنان البيت واستدعته والدته إلى العشاء، إلا أنه أجابها بعدم اهتمام، وأنه أكل في الخارج.

وهمَّ إلى غرفته، ولم يحدث ضجة إلا ضجيج أفكاره...

ضجيج أفكاره أو ضجيجٌ في بيت ملاك...

ها هو والدها قد عاد، عاد قبل مجيئها وأحدث مشكلة بسبب تأخر العشاء، يا لها من مسكينة.

-لوسي: ها قد أخبرتكم، أصلا المنزل كبير، يعني فيه متسعٌ لثلاثتنا، والمدرسة رائعة وطلابها أروع، ويا له من مستوى تدريس فيها، ولا يدفع فيها إلا مبلغ التسجيل الرمزي.

-زاينو: أنا لا أقوى على فراقك، أريد المجيء ولكن ليس إلى الأبد.

فهمت ميلاني مع تواصل بالأعين، أن لوسي تريد الوصول إلى شيءٍ من وراء استدعائهما.

وحرضت الوضع ليصل إلى نتيجة الموافقة.

استيقظ الجميع في صباح اليوم التالي، وهمّ كل منهم إلى انشغالاته، وكذلك العم بلال كعادته...

أما زاينو فتركت داني وميلاني، وقصدت دار العجزة دون إخبارهما، وهما كذلك استغلا الفرصة ليقابلا لوسي ويفهما القصة منها.

دخلت فتاتنا إلى دار العجزة من جديدٍ، وألقت نظرة بسيطة على الحديقة الأمامية، لعلها تلمح السيد مجدي، إلا أنها غيّرت رأيها بالدخول، لأنها لم تجده بتاتا... وتعمدت إخفاء نفسها عن الممرضة المألوفة.

مشت بين الأروقة وسألت كل عجوز قابلته، ما إن كانت نفساء هي ابنته...

-ما الذي تفعلينه يا زاينو؟

انبهر كلٌ من داني وميلاني من الصدفة الجميلة التي حدثت بعد سنين من المحاولات، ووجه لوسي قبالتهما يضحك سعيدا، وفي نفس الوقت قلبها حيرانٌ.

-داني: لا عليكِ يا لوسي، إذا انتقل كلاكما إلى هنا، ستأتي زاينو مباشرة.

-لوسي: الموضوع المعقد ليس هذا، أنا أفكر في الكارثة التي ستحدثها إن فعلنا ما لا تعلمه.

دخل عبسي إلى قاعة الرياضة وكلتا عينيه تدمع، وقصد أخاه...

سنان: ما بك يا رفيقي؟

عبسي: عبسي يشتاق لزاينو.

سنان: وأنا الذي اعتقدتك مريضا، لا عليك زاينو ستأتي.

عبسي: أنت تسخر مني، زاينو نسيت كلانا.

عانق سنان رفيقه ليتعمد عدم النظر إلى وجهه البريء.

دخلت نور إلى القاعة كذلك قائلة: سنان ادفن صديقك في حضنك، وأخبره بأن يترك ياقتي... لست مجبرة على تحمله ملتصقا بي في كل مكان، وحتى أني لا أفهم ما يتفوه به...

كلام نور كان قاسيًا، وسنان لم يتحمله، ولكنه سكت متقبلا.

لمحت إحدى الممرضات زاينو وهي تتجول في الحديقة بكل سرية، فخاطبتها قائلةً:

-مرحبا، هل أتيتِ لزيارة قريبٍ؟

-نعم، أقصد لا (قالت زاينو بتردد)

_إذن تفضلي، انتهى وقت الزيارات، رجائي منك أن تخرجي.

_ لا تقلقي، سأغادر.

طبعا زاينو لم تغادر، بل ظلت في الركن الخلفي حتى بدأ الظلام بالنزول...

حضر المكان رجل ستيني ذو هيبة ووقار، وهو ما أظهره الاحترام والخوف الذي حلّ بين الجميع...

ها هي سيارة ليموزين قد خرج منها، واستقبلته المشرفة وأخذت به إلى المكتب. أما زاينو فقد سيطرت ملامح الصدمة على وجهها، نعم هي لم تنس تلك الملامح الخبيثة من سنين...

لقد أحضرته قدماه...

أحست بملمس يدين توضعان على كتفيها فانتفضت من مكانها، ظنا منها أنه قد أمسك بها... لكنه السيد مجدي.

_لا تخافي يا ابنتي...

_سيدي، لقد تذكرتني؟

_لا لم أنسكِ قط يا صغيرة، لقد تعمدت التناسي، لو لم أفعلها لأدركت الممرضة عدم أخذي لدوائي (هنا بدا وجه زاينو حائرًا جدا) أنا الشخص الوحيد المدرك حاليا، لعلك تستطيعين الهرب.

_ولكن مِن مَن وإلى أين؟

_من ذلك العجوز الخبيث.

ما دار بين زاينو والسيد مجدي سريٌ للغاية...

وما دار بين الثلاثة في منزل لوسي كذلك محبك للغاية...

تابعوا معي، قررت لوسي إيصال الخبر إلى العم بلال، ومشاركته في إحكام الخطة...

أما داني وميلاني فعادا بسيارة لوسي مباشرة إلى زاينو...

-بلال: أقسمي لي بآيات الرحمان يا ابنتي...

ركع بلال على ركبتيه وأجهش بالبكاء مترجيا لوسي، وأجهشت هي الأخيرة معه، ونور والخالة سلمى...

_أخبريني بأن صغيرتي حقا هنا...

_امسح دموعك يا عمي، واجمع شتات نفسك لتساعدني في إعادة صغيرتك إلى حضنك.

في الجهة المقابلة أخبرت زاينو رفيقيها بكل ما حدث في غيابهما، وأن هدفها السابق لتبرئة ضميرها هو تشويه ذلك الوجه الخبيث، لأنه لم يسبق وأن استغل أطفالا فقط، بل يقوم باستغلال العاجزين كذلك، وعودتها لأبيها وظهورها في الوسط سيساعدها على مواجهة جدها...

تبادل داني وميلاني الابتسامات وكأنهما يقولان: بدون أيّةِ خطةٍ أو محاولاتٍ وافقت...

إلا أن الخطة لا بد منها.

تبادلت وسائل التواصل صورًا للعم بلال وهو طريح الفراش، إنّ الوالد الذي اعتدتم رؤيته كل تلك السنوات يبحث عن صغيرته، يصارع شفرات الموت، فهل سيغادر دون ملاقاة فلذة كبده؟

رأت زاينو المنشور وامتلأت عيناها البنيتان بالدموع، فهل ستلحق؟ أم أن دقائق الطريق هي نهاية والدها... أم يا ليتها عانقته قبل هذا؟ عيناها حكتا للوسي كل شيءٍ...

-لوسي: لا تتحدثي... سنلحق.

جلس الريس حيدر يحتسي الشاي على يخته، وهناك أعينٌ تراقبه من شباك صغير، تنازع وتصارع، أعينٌ مخطوفةٌ مربطةٌ بإحكام، وها هو خبر مرض العم بلال يُزَفُ إليه في أبهى حلةٍ، فانتفض من مكانه مبتسما...

-كنت أود قتلك أكثر فأكثر حيا، لكنك شئت الموت مبكرا.

اقتربت سيارة الفتاتين من الوصول، لا أود تحديثكم عن شعور زاينو، شعور يُتْمٍ، خليطٌ مع شعور خوفٍ من الفراق قبل اللقاء مجددا، شعور ندم مع حيرة... ثم إن سنان وعبسي علما بحالة العم بلال من الأخبار، فأخذ كلاهما إذنا بالخروج مباشرة...

رُكنت تلك السيارة، توقفت معها ركبتا زاينو، ووقف قلب بلال ما إن رأى السيارة،

بدأت الخالة سلمى بالبكاء تحضيرا للموقف، وهذا ما يزيد توتر العم بلال.

كان الكل في الانتظار في قاعة الجلوس، لكن العم لم يطق الانتظار أو مواصلة التظاهر بالمرض، فخرج إلى الباب مباشرة ثم إلى الطريق...

اتصل سنان في الطريق على أمه، لعلها تخبره بحالة العم بلال، فبدت وكأنها متفاجئة دون معلومة، فخرجت من المحل آمرة إياه بلحاقها.

ها هما الآن، الأب وابنته يلتقيان، بلال لم يعرفها، لكن زاينو عرفته جيدا.

-زاينو: لم تمت؟

-بلال: أنا عاجز... عاجز...

-زاينو: ليت العجز لعيني...

-بلال: كنا هنا وودعتك قبل خمس عشرة سنة...

-زاينو: ونحن هنا بعدها، لم أعد أطيق محاولات الوقوف، أريد الراحة، ولا راحة لي في حضنٍ غير حضنك يا أبي.

-بلال: وليس الحضن لغيرك يا زاينو.

فتح ذراعيه ليستقبل صغيرته، فبدت كالطفلة تحت جناحيه المفرودين، إن كان المرء يتيما سيبقى وحيدا، ولو كان تحت أجنحة العالم بأسره...

دموع زاينو نزلت معها الكثير من دموع الحضور، لوسي وميلاني وكذلك الخالة مسعودة التي حضرت الموقف بهلعٍ، ليتحول الأمر فجأة إلى فرحة ممزوجة بالدموع... وهاهم كل الجيران مصدومين وهذا يخبر ذاك.

-أراد بلال الاطمئنان: هل سامحتِني يا ابنتي؟

_نحن نسعى فوق هذه الدنيا، نريد رضاكم، فعسى أنتم من يسامحُنا... كللني برضاك يا أبي، فرضا الكون بأكمله لا يُساوي شيئا دون رضاك.

استدعتهم الخالة سلمى إلى المنزل، وبدأ الجميع بالتصفيق فرحة بهذا اللقاء السعيد...

مسحت زاينو كلتا عيناها ورفعتهما، وهاهي نور تحتضنها من الخلف لتوجهها...:

-يا مختل... هاهي زاينو خاصتك...

زاينو عبسي كان أكثر من اشتاق إليك حرفيا...

_ عبسي؟ أخي...

ركض عبسي لاحتضان زاينو واحتوائها بكل سعادة... وأخيرا أخته وأكثر من يشعر به قد حضرت، ولم تخن الوعد ووفت.

_لا تبكي يا صغيري... أنا هنا، لقد أتيت...

_عبسي، عبسي اشتاق إليك... عبسي سعيدٌ بمجيئك، عبسي أكثر شخصٍ سعيدٍ...

بلال: احذر يا عبسي، لست أنت الأكثر ها...

ضحك الجميع ضحكات ممزوجة بالبكاء...

أما سنان فقد غيّر وجهة طريقه فجأة دون سابق إنذارٍ، حتى سمع صوت عبسي: سنان اشتاق لزاينو...سنان خجول...

لمعت عينا زاينو وكأن هذا هو الذي تنتظره: إلى أين أنت ذاهب؟

-سنان: تركت الصف لسبب تافهٍ...

-زاينو: أنا سبب تافه؟

نظر سنان نظرة عتاب، بينما أمسكت الخالة مسعودة ذراعه، فأبعدها بعنف وحاول الرحيل، لكن صوت رفيقيه في آن واحد أوقفه.

-زاينو: لماذا تحاول الرحيل بعد ما التقينا؟

-سنان: هل تسمين هذا لقاءً؟ لولا ما حدث للعم بلال لما أتيتِ، كل عام بالتحديد في هذا الشهر نترجى أن تعودي، كبرنا ولم تفعلي، قلتِ سأزوركم ولم تفعلي، قلتِ على العهد ولم توفي، لا تقاطعيني وتقولي أن هذا وفاءٌ بالوعد، لأنه حقا ليس كذلك.

عبسي: أختي عادت، زاينو عادت، أنا سعيد...

-سنان: لملم شتات كرامتك أيها الأحمق، لو كانت تحبك وتفكر فيك وفي حالتك، لكانت لم ترحل أساسا، هي تعلم أنك بحاجة إلى عودتها ولم تفعل، كُفَّ عن محاولة حب من لا يحبونك...

-عبسي: كلا، أنا لا أفعل.

-سنان: أنت يا زاينو أنانية منذ الصغر، والآن كبرنا ورأيتك أنانيةً، ولكن بنسخة أكبر من التي تركتك عليها.

-زاينو: لا زِلتَ تجرح بكلامك، لم تتغير.

-سنان: صدقيني أن هذا لا شيء... أعاهدك أمام الجميع، أن الجرح الذي تركتِه منذ الصغر، سأجرحك أعمق منه ونحن كبارٌ.

عبسي: يكذب... سنان يحب زاينو...

نور: نعم، من شدة الصدمة بدأ بالهذيان.

غمزت الخالة سلمى عبسي... لكنه لم يفهمها، وتصرف بعفوية خدمت الموقف إيجابا...

-عبسي: صحيح أنه لا أحد يحبني، أنا شخص خاصٌ، والحب مباع عن جميع البشر، وأنا لست بشرا عاديا لأنني رُزِقْتُ حب أخوين لا يمتلكهما المرء كل يوم، وهي راحة زارت قلبي بعد سنين من التعب، لا أحد يفهم الأغبياء كيف يفكرون، ليس لأنهم أغبياء، ولكنهم يفكرون بطريقة مختلفة عن أغلبية البشر، ونحن المرضى نصنف من الأغبياء، لذلك لا نجد من يفهمنا، لكن أنا وجدت، هلا عانقتماني؟

لم تفعل زاينو، لأن سنان احتوى كلاهما بحضن لطيف جدا...

أيُّ لحظة سعيدة علينا عيشها بكل أحاسيسها، لأننا حرفيا لا ندرك مدى صدقها، أو إلى أي مدًى يمكن أن تبقى...

ماذا سيحدث بعدها لهذا الثلاثي... وهل سنان يقصد حقا ما قاله؟ ربما لم يقصده حتى أنه سينسى ما تفوه به لحظة الغضب، إلا أن «أقدراكم تؤخذ من أفواهكم» فانتهوا...

الريس حيدر لم تدم سعادته بانتصاره لمدة طويلة، حتى صدمه خبر لقاء بلال وزاينو على مواقع التواصل الذي شغلها طول فترة...

- اللعنة عليهم جميعا، من أين خرج هذا الأمر إلى الوسط الآن؟

التفت إلى تلك العينين التي تراقبه داخل اليخت وردد:

-عقلي لن ينسى هذا الأمر حتى يُكمله إلى الحد الأخير...

لا تغركم النهايات السعيدة، ما هذه إلا بداية المآسي، وحاشاها أن تسمى مآسيًا... لكن هذه البداية وما خفي عنكم في الجزء القادم هو الأعظم، لا تتعودوا على النهايات المغلقة، فليس كل أمرٍ كما يبدو عليه...

يا تُرى إلى أين سيأخذهم المجرى، وهل ستتوصل ميلاني وزاينو إلى الحقيقة المطلقة حول دار العجزة، وحقيقة عمل وثراء الريس حيدر؟

بالنسبة للأعين المراقبة في يخت الريس، ماذا سيكون موقفها من كل القصة؟

وهل سنان وزاينو سيحلقان في بحر العشاق كما توقعتم؟ أم أنّ للقدر رأيًا آخرًا؟

وهل ستصل زاينو إلى الرجل الذي شهدت ضده زورا؟ ومن سيكون؟

قبل أن تتعرف عليه وعلى من يكون... ماهي صلة القرابة التي ستكون بينهما حينها؟ وهل سيأثر ظلمها له على حياتها في ذلك الوقت...

أجزم لكم أنه لن يحدث شيءٌ مما توقعتموه، سيحدث عكس ما فكرتكم فيه... ستجري القصة كما أريد أنا، وسأُخيب ظن القراء كما سبق وخيبوا ظني...

النّهاية